ذكر الله تعالى

أ.د/ ابو زيد محمد ابو زيد جعفر
استاذ التفسير وعلوم القرآن

أ.د / أبو زيد محمد أبو زيد د
أستاذ التفسير وعلوم
القرآن الكريم

ذكر الله تعالى

قال الله تعالى : «فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون»[1].

وعن زيد أسلم أن موسى عليه السلام قال : يارب كيف أشكرك؟ قال له ربه : ((تذكرني ولاتنساني، فإذا ذكرتني فقد شكرتني وإذا نسيتني فقد كفرتني)) وقال الحسن البصري وغيره: ((إن الله يذكر من يذكره، ويزيد من شكره، ويعذب من كفره)) وقال بعض السلف في قوله تعالى: ((اتقوا الله حق تقاته[2])) قال : هو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينس، ويشكر فلا يكفر. وذكر ابن أبي حاتم: عن مكحول الأزدي قال : قلت لابن عمر: ((أرأيت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق والزاني يذكر الله، وقد قال الله تعالى " ((فاذكروني أذكركم)) قال : إذا ذكر الله هنا، ذكره الله بلعنته حتى يسكت. فمن ذكر الله ذكره الله بمغفرته ورحمته عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل : ((أنا عند ظن عبدي. وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه، وإن اقترب إلى شبراً تقربت إليه ذراعا، وإن اقترب إلى ذراعا اقتربت إليه باعا. وإن أتاني يمشي، أتيته هروله[3])) والذكر: هو مايجري على اللسان والقلب من تسبيح الله- تبارك وتعالى- وتنزيهه وحمده، والثناء عليه، ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال. وقد أمر الله تعالى- بالإكثار من ذكره فقال سبحانه: ((يأأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيراً. وسبحوه بكرة وأصيلا [4])) لما للمؤمنين في ذلك من الثواب الجزيل والأجر الكبير قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن

١- الآية ١٥٢ سورة البقرة.

٢- بعض الآية سورة آل عمران.

٣- صحيح مسلم كتاب الذكر ج ع ص ٢٠٦٨ح ٢٦٧٥/٢١ دار إحياء التراث العربي بيروت

٤- سورة الاحزاب (٤١-٤٢).

سعيد عن عبد الله بن سعيد حدثنى مولى ابن عباس عن أبى بحرية عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخيرلكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربون أعناقكم)) قالوا وما هو يارسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم ((ذكر الله عز وجل)) وأنه – سبحانه– اختصى أهل الذكر بالتفرد والسبق، عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال : لانه رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى طريق مكة ، فمر على جبلٍ يقال له جمدان فقال:(سيروا هذا جمدان سبق المفردون)) قالوا: وماللمفردون؟ يارسول الله قال :((الذاكرون الله كثيرا، والذكرات[1] وأنهم هم الأحياء على الحقيقة...عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال النبى صلى اله عليه وسلم: ((مثل الذى يذكر ربه والذى لايذكر ربه مثل الحى والميت[2])) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال فيسألهم ربهم عز وجل – وهو أعلم منهم: ما يقول عبادى؟ قال تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال فيقول : هل رأونى ؟ قال فيقولون: لا والله مارأوك. قال فيقول : كيف لو رأونى: قال يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً. قال يقول: فما يسألونى ؟ قال: يسألونك الجنة . قال يقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون: لا والله يارب مارأوها. قال فيقول : فكيف لو أنهم رأوها؟ قال يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال يقولون: من النار. قال يقول: وهل رأوها؟ قال فيقولون: لا والله يارب مارأوها. قال يقول : فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لورأوها

١– صحيح مسلم كتاب الذكر ج ع ص ٢٠٦٢ ج٤/٢٦٧٦ دار احياء التراث العربى بيروت

كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة. قال فيقول فأشهدكم أنى قد غفرت لهم. قال يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم[١])).وذكر الله رأس الأعمال الصالحة مثل الباقيات الصالحات وهى :((سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)) وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار والدعاء بخيرى الدنيا والآخرة، والمواظبة على العمل بما أوجبه الله أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنقل بالصلاة ونحو ذلك فذكر الله أفضل من كل شيئ. عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإ كانت مثل زبد البحر[٢])) وعن أى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرح: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده [٣])) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل - مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه [٤])) وقال الفخر الرازى : المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب التفكير فى أدلة الذات والصفات وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهى حتى يطلع على أحكامها، وفى أسرار مخلوقات الله. والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة فى الطاعات، ومن ثم سمى الله الصلاة ذكر فقال : ((فاسعوا إلى ذكر الله)) وروى عن بعض العارفين أنه قال : الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء ، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء. عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كل سلامى من

١- فتح البارى ج ١١ كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل ح٦٤٠٨/٢١٢.
٢- فتح البارى ج ١١ كتاب الدعوات باب فضل التسبيح ح ٦٤٠٥/ ٢١٠ دار الريان للتراث.
٣- نفس المرجع ح ٦٤٠٦.
٤- فتح البارى ج ١١ كتاب الدعوات باب فضل التهليل ج ٦٤٠٣ / ٢٠٤ دار الريان للتراث.

الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الإثنين صدقة، ويعين الرجل- على دابته فيحمل عليها- أو يرفع عليها متاعه- صدقه ،والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، يميط الأذى عن الطريق صدقة[١])).

وعن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة. فكل تسبيحة. وكل تحميده صدقة. وكل تكبيرة صدقة. وأمر بالمعروف صدقة. ونهى عن المنكر صدقة. ويجزى من ذلك، ركعتان يركعها من الضحى [٢])).

قال تعالى : ((واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين [٣])) أى واذكر ربك الذى خلقك ورباك بنعمة فى نفسك ، ذكر دون الجهر برفع الصوت من القول وفوق التخافت والسر كما قال تعالى : ((ولا تجهر بصلاتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا[٤])) وهكذا يستحب أن يكون الذكر لايكون نداءً وجهراً بليغاً، عن أبى موسى قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ((أيها الناس اربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبا. إنكم تدعون سميعاً قريباً. وهو معكم)) قال وأنا خلفه، وأنا أقول : لاحول ولاقوة إلا بالله. فقال :((ياعبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟)) فقلت: بلى يارسول الله قال : ((قل لاحول ولا قوة إلا بالله[٥])) ولهذا لما سألوا رسول الله صلى

١- فتح البارى ج ٦ كتاب الجهاد والسير باب من أخذ بالركاب ونحوه ح ٢٩٨٩/١٥٣ دار الريان للتراث.

٢- صحيح مسلم ج كتاب صلاة المسافرين ح ٨٤-(٧٢٠)/٤٩٨ دار إحياء التراث العربى بيروت.

٣- الآية ٢٠٥ سورة الأعراف.

٤- بعض الآية ١١٠ من سورة الإسراء.

٥- صحيح مسلم ج ٤ كتاب الذكر ج ٢٧٠٤/٢٠٧٦ دار إحياء التراث العربى- بيروت.

الله عليه وسلم فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله عز وجل ((وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)) فمن افتتح نهاره بذكر الله واختتمه به كان جديرا بأن يراقب الله ولاينساه فيما بينهما، ويكون هذا الذكر فى صلاتى الفجر والعصر التين تحضرهما ملائكة الليل وملائكة النهار ويشهدان عند الله بما وجدا عليه العبد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون[١])) وعن عبيد الله بن بسر أن أعرابياً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أن شرائع الإسلام قد كثرت على. فأنبئنى منها بشئ أتشبث به قال « لأيزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل[٢] » والذكر سبيل النجاة.... فعن معاذ- رضى الله عنه- أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ماعمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله- عز وجل[٣] » وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « ماجلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم[٤] » فذكر الله فى الحقيقة استحضار عظمة. - الله - تعالى وجلاله وكما له استحضارا قلبيا يبعث على الخشية والمراقبة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال « يا أبا هريرة ما الذى تغرس؟ » قلت غراسالى . قال:« ألا أدلك على غراس خير لك من هذا؟ » قال: بلى يارسول الله

١- فتح البارى ج ١٣ كتاب الترحيد ح ٤٦٩/٤٧٨٦ دار الريان للتراث وصحيح مسلم ج١ كتاب المساجد باب فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليهما ج٦٣٢/٤٣٩ دار إحياء التراث العربى- بيروت.

٢- سنن ابن ماجة ج٢ كتاب الأدب ج ١٢٤٦/٣٧٩٣ دار إحياء التراث العربى.

٣- رواه أحمد وسنن ابن ماجه ج٢ كتاب الأدب عن معاذ بن جبل ص ١٣٢٤٥.

٤- سنن الترمذى ج ٥ كتاب الدعوات ج ٤٣٠/٣٣٨ دار الكتب العلمية بيروت.

قال: « قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة [١] ».

ولابد أن يكون الذكر مصحوباً بالفكر، كما قال تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار [٢] » وهذا ينير القلوب بذكر مايدل على التوحيد والجلال والكبرياء قال ابن عمر: قلت لعائشة: أخبرينى بأعجب مارأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكت وأطالت ثم قالت: كل أمره عجب، أتانى فى ليلتى فدخل فى لحافى حتى ألصق جلده بجلدى، ثم قال لى : ياعائشة هل لك أن تأذنى لى الليلة فى عبادة ربى، فقلت يارسول الله إنى لأحب قربك وأحب مرادك قد أذنت لك، فقام إلى قربة من ماء فى البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء، ثم قام يصلى، فقرأ من القرآن وجعل يبكى ، ثم رفع يديه فجعل يبكى حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض، فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكى، فقال له يارسول الله أتبكى وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر، فقال يابلال أفلا أكون عبدا شكوراً، ثم قال مالى لا أبكى وقد أنزل الله فى هذه الليلة: «إن فى خلق السموات والأرض » ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها [٣] وروى ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل فيها.

وعن على رضى الله عنه وكرم الله وجهه: أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر إلى السماء ويقول : إن فى خلق السموات والأرض. وقال الشيخ أبو سليمان الدارانى: إن لأخرج من منزلى فما يقع بصرى على شيئ إلا

١- سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الأدب ح ٣٨٠٧/١٢٥١ دار إحياء التراث العربى.

٢- الآية ١٩٠-١٩١ سورة آل عمران.

٣-التفسير الكبير للفخر الرازى المجلد الخامس ص ١٣٦ دار إحياء التراث العربى

رأيت لله على فيه نعمة ولى فيه عبرة وعن الحسن البصرى أنه قال : تفكر ساعة خير من قيام ليلة. وقال الفضيل : قال الحسن : الفكرة مرآة تركت حسناتك وسيئاتك وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله عز وجل حسن، والفكرة فى نعم الله أفضل العبادة .وعن ابن عباس أنه قال : ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه. وعن عيسى عليه السلام أنه قال: يابن آدم الضعيف اتق الله حيثما كنت، وكن فى الدنيا ضيفا، واتخذ المساجد بيتاً، وعلم عينيك البكاء، وجسدك البصر، وقلبك الفكر، ولاتهتم برزق غد[١].

وقد أمر الله - جل ذكره- بأن يذكر ذكرا كثيراً، ووصف أولى الألباب الذين ينتفعون بالنظر في آياته بأنهم: « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم[٢] » عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل[٣] وقال مجاهد: لايكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا. قال عطاء: من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فى قوله تعالى : « والذكرين الله كثيراً والذكرات » وسئل الإمام أبو عمر بن الصلاح رحمة الله تعالى عن القدر الذى يصير به من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات فقال : إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً ومساء فى الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهاراً، كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات. وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس- رضى الله عنهما- فى هذه الآيات قال : إن الله - تعالى- لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، وعذر

١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ص ٤٣٨ مكتبة دار التراث ٢٢ شارع الجمهورية.

٢-بعض الأية ١٩١ سورة آل عمران.

٣-صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٧١ كتاب الذكر حديث ٢٦٩٣ باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

أهلها فى حال العذر غير الذكر، فأن الله لم يجعل له جدا ينتهى إليه، ولم يعذر أحد فى تركه إلا مغلوبا على تركة فقال:« فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم»[١] بالليل والنهار، فى البر والبحر، وفى السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. بحيث يعلم أن الله - جل شأنه- ناظر إليه، ومطلع عليه.... قال تعالى: « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد [٢] وفى هذا يقول أحد الذاكرين:

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة ❊ وأيسر مافى الذكر ذكر لسانى

وكدت بلا وجد أموت من الهوى ❊ وهان على القلب بالخفقان

فلما أرانى الوجد أنك حاضرى ❊ شهدتك موجودا بكل مكان

فخاطب موجودا بغير تكلم ❊ ولا حظت معلوما بكل عيان

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس[٣].

١- بعض الآية ١٠٣ سورة النساء.

٢-بعض الآية ١٦ سورة ق.

٣- صحيح مسلم ج ٤ ٢٠٧٢ كتاب الذكر حديث ٢٦٩٥ دار إحياء التراث العربى بيروت.